لهب الرماد

مهداة إلى انتفاضة
الأقصى وروح الشهيد
محمد الدرّة

. محمود صالح .

للسَّيفِ ذاكرةٌ على أهدابها هَدَلَ الحمامُ
لحجارة السِّجيلِ جلجلةٌ
يطيبُ بأفقها الدّامي الكلامُ

❖ ❖ ❖

هُبّي فملءُ رمادِكِ اللَّهَبُ
هُزّي دمي يَسّاقطِ الرُّطَبُ
النارُ تغلي في مراجلنا
وتنامُ ملءَ جفونها العربُ

❖ ❖ ❖

الياسمينُ وسامُ مقصلتي
ورأسي في يديَّ وللمدى أشذائي
لن يلدغوا الحجرَ الشَّريفَ بقمةِ رقطاءِ
حجري سأسرجُهُ نبوءاتٍ
ليهبطَ وحيُها مطراً على الصحراءِ
من فضَّ سرَّ الكونِ غيرُ حجارةٍ
شهقتْ بشلاّلِ الإباءِ
قلبي يحلّقُ في رؤاهُ مُدمدماً
وعلى جناحِ لهيبهِ
شرّعتُ صدري كي أفوزَ بطعنةٍ نجلاءِ
والآنَ أطلعُ من ضريحِ حياتكمْ
شُهُبًا تضيءُ مجرَّةَ الظَلماءِ
بابُ القداسةِ لي على عتباتهِ
يحلو النَّزيفُ وتنتشي أشلائي
وحدي أُقيمُ إقامةً أبديَّةً في موطني
أحنو عليهِ بأضلعي ودمائي
إنْ كان موتي صاعداً في ضوئهِ
فلتعلموا:
هذي استحالةُ عيشكمْ في أرضنا الشَّماءِ!

❖ ❖ ❖

ما من مكانٍ باردٍ في أرضنا
فلتَشْهدوا الوثبَ المقدَّسَ للضلوعِ
من أُفقِ أعناقٍ إلى غاباتِ أحداقِ
إلى كفٍ تلوّحُ للربيعِ
من غيرِ أجنحةٍ دلقنا روحَنا
مثلَ الصَّنوبرِ والصّباحِ على الرُّبوعِ
كي ننثرَ البشرى كما الحلوى
أقمنا عرسَنا وولائمًا قُدَّتْ
من الأحجارِ والدّمِ والدُّموعِ
في الرّحْمِ مارَسْنا تمارينًا مبكّرةً
على الموتِ المريعِ
فليُعلنِ الجلاّدُ قتلي مرّةً أُخرى
ليأمنَ ظلّهُ وقت الهجوعِ
في أيِّ وقتٍ سوف يُثمرُ حُلْمُنا

. محمود صالح .

في أيِّ فجرٍ سوف نغسلُ وجهَ هذا الليلِ
نخرجُ من حرائقَ غُلِّفَتْ
بالصَّبْرِ والرُّعبِ الحلالِ وبالخشوعِ
اليوم حين تدورُ دائرةُ الحجارةِ بالزَّمَانِ
سيشرقُ الأقصى
ويبزغُ فجرُ من صلّى
صلاةَ العيدِ في ثوبِ النَّجيعِ
فلتعقدوا قممًا لتنأى عن عذاباتِ الرَّضيعِ
أو فاحشدوا جيشًا لتأديبِ القطيعِ
واستسلموا لغرامِ سِلْمكمُ الرَّفيعِ
ثمَّ ارقصوا في حضنِ أميركا كمخصيٍّ خليعِ!

❖ ❖ ❖

لم يبقَ في ليلي نجومٌ لانتظارِ أحبَّتي
لم يبقَ عصفورٌ لحلمٍ أبتغي منه المطرْ
لم يبقَ إلاّ الملحُ والصبّارُ في هذا المدى
لم يبقَ غيرُ نعاسكمْ
وتثاؤبٍ يعلو ليفترسَ الحجرْ
الشمسُ تُفجعكمْ فناموا
لن أُبلِّلكمْ بماءِ توهُّجي
مأوايَ جرحي ليس لي وطنٌ سواهُ
ولن أفتِّشَ عن صلاحِ الدِّينِ في دمكمْ
وعن جدِّي عُمرْ
فأنا الدليلُ، أسوقُ عائلةَ الصَّهيلِ
وأزجرُ الخيلَ التي انسَتْ
حوافرُها التَّمرُّغَ في الحُفَرْ
وأنا القتيلُ، أُعيدُ للرُّشدِ الأعاصيرَ
التي قُصَّتْ جوانحُها
لأنسُجَ من بقايا الروحِ شريانَ القدرْ
فلْتحذروا قتلي!!..
دمي يستدرجُ الموتى إلى الطوفانِ
أعصابي مُفخَّخةٌ بأصحابي
وموتي عابقٌ في حضرةِ الدُّنيا كأنسامِ الزَّهرْ
لا تحزنوا يا إخوتي
إنْ حان يومي للرَّحيل، وهلِّلوا
أحصيتُ نبضي كم حصًى سيضخُّها
سدَّدْتُ كلَّ خليَّةٍ أحيا بها
فلْتأذنوا لي بالسَّفرْ!

❖ ❖ ❖

تهوي الخيولُ لتنتمي لهديرِها المتعالي
فلْتنغرزْ في اللَّحمِ أنيابُ اللَّيالي
ولتلاحقْ شاردَ الأوصالِ.
كم أغضبَ الطلقاتِ وهجُ حروفِنا
فسعتْ تُهجّي أضلعَ الأطفالِ
لو يعلمُ الفولاذُ أنَّ غريمَه حجرٌ

تشظّى قلبُهُ شوقًا لكلّ نزالِ
لتحوّلتْ حِمَمُ اللّهيبِ أزاهرًا
تُهدى إلى مقلاعِنا
فوّاحةً بالطيبِ والإجلالِ
فليقرأ الأقصى مصابيحَ الفداءِ مهلّلاً
للريحِ والزّلزالِ
ولْيحتشدْ فينا بلالُ مكبّرًا
اللّه أكبرُ، أشرقتْ بملاحمِ الأبطالِ
❖ ❖ ❖
كما قايضوا حقلَ الفؤادِ برايةٍ ثكلى
فأحرقنا مراكبَنا
وصعّدْنا مواكبَنا
وأمطرْنا الحجارةَ بالجنونِ
لن نستقيلَ من البدايةِ فالنهاياتُ استعدّتْ
للنُّهوضِ إلى اليقينِ
ماذا ستحتاجُ البداية روحَنا؟!
فلينفجرْ دمُنا شظايا ولندجّجْ بالمنونِ.
قمْ يا محمّدُ شاهدًا
واحزمْ بصرّتَكَ الصغيرةِ يومَكَ الأبديَّ
سرْ في أُفقهِ
وأطلقْ عنادكَ
في الهواءِ وفي المياهِ وفي الطّحينِ
في البالِ وردتُهُ
ويركضُ خلفها...
والوردُ أعلى من طفولتهِ
ويركضُ خلفها...
يعدو، فيسقطُ في براءتهِ، ويعلو
في عروقِ الياسمينِ
ومحمّدٌ ما كان يمتحنُ الزّمانَ
لتقرأ الأيامُ سيرةَ مجدهِ
فلترسم الآن الطفولةُ جرحَها
قمرًا يعرّشُ ملءَ ذاكرةِ السّنينِ
❖ ❖ ❖
للقدسِ أجنحةٌ من الأنوارِ تخفقُ كالبنودِ
قمْ يا محمّدُ وانتصرْ
القدسُ معراجُ القيامةِ والخلودِ
قمْ يا محمد وانتصرْ
القدسُ ميلادُ البشارةِ والوعودِ
قمْ يا محمد وانتصرْ
قم سيدي...
عيسى المسيح اليوم بشّرْ بالخلاصِ لننتصرْ
يا ناصريُّ أُنصُرْ أخاك محمّدًا كي نَنتصرْ
وسننتصرْ... وسننتصرْ... وسننتصرْ...

مخيّم البدّاوي (شمال لبنان)